إن قراءة التاريخ عموما مسألة فى غاية الأهمية بالنسبة للإنسان ، إذ لا يمكننا الآن أن نتخيل وجودنا الحاضر بدون الوعى بالتاريخ السابق الذى صنعه البشر من قبلنا.

ولاشك أنه مما يميز الإنسان حقا عن بقية الكائنات ، هو ذلك الوعى بتاريخه، وبقدرته على تسجيله وقراءته والاستفادة منه. ومن ثم وجب فى كل مراحل حياة أى إنسان منذ نعومة أظفاره الاهتمام بقراءة التاريخ سواء تاريخ أمته للتعرف على إنجازات أجداده وآبائه، أو تاريخ العالم شرقه وغربه للتعرف على إنجازات شعوب العالم الأخرى.

ومن الضرورى - بنفس القدر - أن تكون هذه القراءة موضوعية استنادا على الموضوعية التى ينبغى أن يكون كتّاب هذا التاريخ العام، أو كتّاب التاريخ الخاص قد تحلوا بها .

وهذه القراءة الموضوعية من شأنها إزكاء روح المقارنة لدى القارئ بين تاريخه الماضى(تاريخ أمته وشعبه عبر العصور) وبين التاريخ العام (تاريخ شعوب العالم الأخرى شرقا وغربا) وهذه المقارنة من شأنها بالطبع أن تدفع القارئ إما إلى إدراك

عمق تاريخ حضارته وأمته والاستفادة من هذا العمق الحضارى فى صنع الأفضل والأرقى فى هذا العصر الذى نعيشه أو إلى إزكاء روح المنافسة لديه إذا وجد أن هذا التاريخ لأمته لم يكن على المستوى الذى يفخر به أو يسعده.

وفى كل الحالات فإن قراءة التاريخ بكافة صوره مفيدة أقصى استفادة لأنها تشكل الجذع الذى يتولد عنه الوعى الإنسانى عامة، الوعى بأهمية وجود الإنسان على هذه الأرض فوجوده هو وجود للإنجاز وللإبداع وللمعرفة وليس مجرد وجود حيوي حيواني مجرد من الفهم والوعى والإنجاز!.

إن قراءة التاريخ وفهم أبعاد التطور التاريخى للإنسانية مسألة شاقة؛ وخاصة إذا ما نُظر إلى التاريخ من منظور المؤرخ العادى الذى ينشغل فى تأريخه بتتبع الأحداث الجزئية تتبعا تفصيليا مملا، إن من شأن هذا الإغراق فى التفاصيل الذى يبعث على الملل أن المرء عادة ما يفقد القدرة على إدراك المغزى من وراء الاطلاع على هذه الأحداث ومعرفة تفاصيلها.

والمطلوب هو تقديم التاريخ فى صورة مشوقة جاذبة للعقل وباعثة للوعى بأهمية مانقرأ، وهنا تبرز أهمية كتابة التاريخ من منظور فلسفى شامل لا ينظر إلى التفاصيل وتفاصيل التفاصيل، بل ينظر إلى التاريخ الإنسانى باعتباره تاريخا

لحضارات كبرى ولدت ونمت وتطورت ثم هرمت وبادت... ويفسر هذا التاريخ لتلك الحضارات من خلال التساؤلات عن كيف ولدت، وكيف نمت، وتطورت، وما الذى أدى إلى هرمها ثم انهيارها!!.

إن هذه التساولات هى التى يبحث عنها عادة القارئ الواعى وكذلك المؤرخ الواعى ولا يمكن أن يتولد هذا الوعى إلا من خلال معرفة عقلية فلسفية لدى كل من المؤرخ والقارئ.

وبما أن الإنسان سواء أكان مؤرخا أو قارئا هو بلاشك ذلك الكائن العاقل وهو أيضا ذلك الكائن المفكر الذى يريد أن يعرف نفسه وكل ما يدور حوله وهذه الرغبة العارمة لدى الإنسان فى المعرفة هى ما تجعله دائما يبحث عن الجديد فى كل شىء، وهى ما تدفعه ليس إلى التعرف على الجديد المتعلق بالحاضر والمستقبل فقط، بل أيضا هى ماتدفعه للتنقيب فى التاريخ الماضى عله يجد فيه ما يفيده بشأن فهم أبعاد الحاضر بصورة أشمل وأعمق.

وهنا ومن هذه الزاوية تأتى أهمية هذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ، فهو كتاب يزيدك وعيا بأهمية التاريخ وبأهمية قراءته قراءة فلسفية ويزيدك قدرة على فهم ما تقرأ من تاريخ الإنسانية، فى كل عصورها ومراحلها كما يزيدك إدراكا لأبعاد

فهم التاريخ الإنسانى فى الماضى والحاضر كما أنه يمكنك من خلال بعض ما عرضنا له من نظريات فلسفية حول تفسير التاريخ والحضارات الإنسانية التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه أحداث المستقبل.

وعلى أية حال فقد كنت حريصا فى كتابته كل الحرص على أن تكون العبارات واضحة والمصطلحات المستخدمة مشروحة ومفهومة، كما كان الحرص كذلك على أن يُزود الكتاب بالهوامش والمراجع المستخدمة وهى كلها - عن عمد - مراجع ومصادر عربية أو مترجمة إلى اللغة العربية حتى يمكنك عزيزى القارئ الرجوع إليها والاستزادة منها حول أى موضوع شغل اهتمامك من الموضوعات المعروضة.

وأتمنى أن تتحقق لك كل الاستفادة من هذه الإطلالة السريعة على فلسفة التاريخ ذلك الفرع شديد الأهمية خاصة فى عصرنا الراهن.

والله من وراء القصد